

الآخريه ونسق الاستلاب الهوياتي في الرواية الجزائرية المعاصرة، الديوان الاسبرطي لعيساوي

عبد الوهاب أنموذجاً

the Otherness and the identity alienation system in the Algerian modern novel, the Spartan Diwan for Aissaoui Abdelwahab as a sample.

موراد غوالي¹ جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ghoualmimourad@gmail.com

د- الشيخ قاضي* جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم cheikh.kadi@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: ديسمبر 2024	تاريخ القبول: 2024-04-15	تاريخ الإرسال: 2023-12-26
--------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يسعى البحث إلى كشف مظاهر الاستلاب الهوياتي بوصفه نسق ثقافي مضمّن داخل الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، من خلال رصد فعل التثاقف بين شخصيات رواية الديوان الاسبرطي الصادرة سنة 2018 عن دار ميم للنشر بالجزائر، لصاحبها عيساوي عبد الوهاب، والفائزة بالجائزة العالمية للرواية العربية البوكر لسنة 2020، ومن خلال الحوار القائم بين شخصيات الرواية يمكننا تتبع ملامح الصراع الأيديولوجي الذي يؤثر بدوره على مقومات الهوية ويجعلها حائرة بين جاذبيتين - المركزية والهامشية - ، وتهدف الدراسة إلى البحث عن الدلالة المضمرّة التي ينتجها التراكم المعرفي الذي تتحكم فيه قيم وأفكار وإيديولوجيات متعددة لا تطفوا على السطح بل تغوص في أعماق النص وتتمركز في لاوعيه ، ومع اتجاه الدراسات النقدية المعاصرة نحو الدراسات الثقافية متجاوزة بذلك سلطة البنية أو الشكل ونزوعها إلى المقاربات الثقافية كان لزاماً علينا توظيف الوصف كمنهج علمي، والانفتاح على المناهج النقدية سيميائية وتفكيكية، والتركيز على النقد الثقافي بصفته جامعاً لجل المناهج في إجراء التطبيق، ويمكننا الانطلاق في الدراسة من خلال محاولة تحديد بعض المفاهيم ، فما هي الآخريه؟ وما الاستلاب الهوياتي؟ وما هي العلاقة التي تجمع بين الآخريه ونسق الاستلاب الهوياتي ؟ كل هذا من خلال تحليل بعض مضامين رواية الديوان الاسبرطي، والتي بدورها تحيلنا إلى سؤال الهوية في ظل تجاذبات متعددة .

الكلمات المفتاحية: الآخريه، الاستلاب الهوياتي، الرواية الجزائرية المعاصرة ، الديوان الاسبرطي .

Abstract:

The research seeks to reveal the manifestations of identity alienation as an implicit cultural system inside the contemporary Algerian novelist discourse by monitoring the act of acculturation

¹ جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ghoualmimourad@gmail.com

* جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم cheikh.kadi@univ-mosta.dz

between the characters of the novel of the Spartan Diwan which issued in 2018 about Meem Publishing House in Algeria, to its owner Aissaoui Abdelwahab and the winner of the international award of the Arabic Novel Elbouker in 2020, and from the interview between the characters of the novel, we can follow the features of the Ideological conflict that affects the identity components and makes her confused between two attractions: central and marginal, and the study aims to search for the implicit meaning produced by knowledge accumulation which is controlled by different values and ideologies that don't rise to the surface but dive deep into the text and is concentrated in its subconscious, and with the trend of the contemporary critical studies towards cultural studies transcending the authority over form and its tendency towards cultural approaches, we were obliged to implement description as a scientific method and openness to the critical approaches both semiotics and deconstructions and the focus on the cultural criticism as a comprehensive to most approaches in its applied procedure and we can start our study from trying to define some concepts. So, what is otherness and what is identity alienation? and what is the relationship between them. All this by the analysis of some contents of the Spartan Diwan which leads to the question of identity under many attractions.

Key words: otherness, identity alienation, contemporary Algerian novel, spartan diwan

المؤلف المرسل: موراود غواملي ghoualmimourad@gmail.com

. مقدمة:

إن الإبداع الأدبي و تلقيه في وقتنا الراهن بات يخضع للتحويلات التي طرأت على المناهج النقدية فبعدما كان الدرس النقدي منصبا على الشكل صار التركيز موجه نحو الدرس الثقافي الذي ينصف كلا الطرفين المنتج والمستهلك للعمل الأدبي، حيث صار التلقي قريب من الإبداع ، ومع بروز الأنساق الثقافية الظاهر منها والمضمرة، صار لزاما على الناقد إقحامها في إجراءاته القرائي وهذا ما سنحاول تطبيقه على رواية الديوان الأسبرطي لعيساوي عبد الوهاب التي فازت بجائزة البوكر للرواية العربية سنة 2020 ، ولدراسة هذه الرواية يجب علينا الاعتماد على الوصف كمنهج علمي، والانفتاح على المناهج النقدية سيميائية وتفكيكية، والتركيز على النقد الثقافي بوصفه الإجراء الذي يستعين بالنسق الثقافي كأداة للتحليل، للوصول إلى تأويلات جديدة لدلالات المتن السردي، فكانت الدراسة مقسمة إلى مفاهيم نظرية (الأخرية، الاستلاب الهوياتي، النسق الثقافي المضمرة في النقد الثقافي) ومحاولة تطبيقية على الرواية بالإشارة إلى الرواية الجزائرية المعاصرة والتعرف على الشخصيات الرئيسية في الرواية والخوض في دراسة الأخرية وتجاذباتها وارتباطاتها بنسق الاستلاب الهوياتي في الرواية .

2. مفهوم الأخرية

إن كلمة الأخرية جاءت بصيغة التكثير والمبالغة للفظ آخر ، وعليه يجب تتبع هذا اللفظ في أصوله اللغوية ثم محاولة تحديد دلالاته الاصطلاحية .

1.2 الأخرى لغة :

جاء في لسان العرب " الآخرُ بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر، وأصله أَفْعَلٌ من التأخر، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استُثْقِلتا فأُبدِلت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح الأولى قبلها ¹، أما القاموس المحيط فقد جاء فيه " والغائب، كالآخر، وبفتح الخاء: بمعنى غير ²، وفي المعجم الوسيط " الآخرُ: أحد الشئيين، ويكونان من جنس واحد ³، واستنادا على ما سبق ذكره يمكننا القول أن كلمة الآخر في أصلها اللغوي تشير إلى الغير من نفس الجنس فلو كان المحدد رجلا لكان كلاهما أنا نسبة لنفسه وآخر نسبة لغيره.

2.2 الأخرية اصطلاحاً :

مصطلح الآخر مثله مثل باقي مصطلحات العلوم الإنسانية فقد تعددت مفاهيمه ودلالاته بتعدد الرؤى وتعدد مشارب ومجالات من الباحثين الذين حاولوا تحديده، ففي مجال الفلسفة يرتبط مفهوم الآخر بالأنا على أساس أنه عنصر من عناصر الوجود فهو مدرك خارج الأنا و" الأخرية بصفتها مقولة فلسفية Philosophical Category ؛ تعني في بعدها الفلسفي الوجودي: أن من ليس أنا فهو آخر بالنسبة إليّ. وتتوسع الأخرية لتشمل كل ما يميز هذا الآخر عني من مأكّل ومشرب وملبس وأنماط فكرية وثقافية مادية وروحية ورمزية تنطلق من كيفية الفعل ... وتصل إلى الرؤى العامة حول الكون والوجود والمصير ⁴، أي أن الأخرية منفصلة عن الأنا انفصال تام من حيث المادة والفعل والنمط المعيشي وكيفية النظر للوجود وطريقة التفكير بحيث أن كل ما يختلف عني فهو غير بالنسبة لي وأنا غير بالنسبة له، فالناظر إلى صورة المسلم في الفكر الغربي يجد أن لفظ المسلم " يكاد أن يترادف مع مصطلح «Other» الانكليزي، و «Autre» الفرنسي، و «Andere» الألماني؛ وجميعها تعني: الآخر، وأن صورة هذا «المسلم - الآخر» صورة تمثيلية تصنع صناعة ⁵، والمقصود بأنها تصنع صناعة أي أنها تؤلف من الأنا وليس من مميزات الآخر فلا اعتبار للمواصفات ولا لسمات التفوق بل تبقى النظرة نابعة من الأنا استعلاءً وأناوية وهذا ما نجده في الدراسات ما بعد الكولونيالية حيث " يشير الآخر في عمومته إلى أي شخص مميز عن الذات ووجود الآخرين أمر ضروري لتعريف ما هو عادي وتحديد موقف المرء من العالم وتوصف الذات المستعمرة بالآخر من خلال الخطابات الكولونيالية لترسيخ الفصل الثنائي ما بين المستعمر والمستعمّر وتأكيد طبيعة وألوية الثقافة الاستعمارية والرؤية الكلية للعالم ⁶ وقد كانت هذه النظرة سائدة في الفكرين العربي والغربي حتى ازدهار الدرس النقدي وتطوره ليصل إلى الدراسات الثقافية التي جعلت من " الأخرية بصفتها «مقولة تحليلية Analytical Category» ؛ تعني: كفاءات تحليل مكونات الآخر ومقوماته العامة بالاستناد إلى مفهومي التفكيك مع جاك ديريديا والحفر المعرفي مع ميشال فوكو ⁷، والأخرية بهذا المفهوم تأخذ معنى آخر مختلف عن السابق ؛ فسابقاً كانت متصلة بالتصادم مع الآخر بروز بؤاد الصراع من النظرات الأولى بينما الآن مع الدرس الثقافي صارت متصلة بمفاهيم جديدة مثل التثاقف والتلاقح والانفتاح على الآخر، والتحليل هنا لا يرتبط بالموقف لاحقاً فالتلاقح قد يفضي إلى الانهيار والتقليد وقد يفضي إلى مظاهر أخرى مثل الاستلاب بأنواعه وأشكاله . وعلى العموم نستطيع استخلاص مفهوم للأخرية على أنها صفة أو لفظ يعنى بتتبع الآخر المنفصل عن الأنا الفردية بمكوناته المادية ومكانته الوجودية ويعنى أيضاً بتقصي سمات الآخر المنفصل عن مجتمع الأنا الاجتماعية بمكوناتها الثقافية والفكرية والعقدية والسياسية وباعتبار جل المقومات المجتمعية .

3. الاستلاب الهوياتي

إن لفظ الاستلاب في مفهومه اللغوي يحيلنا إلى الجذر اللغوي س ل ب فقد جاء في لسان العرب " سلب: سَلَبَ الشيءَ يَسْلُبُهُ سَلْباً وسَلَباً، واستلبه إياه ... و الاستلابُ: الاختلاس ... وكل شيء على الإنسان من اللباس فهو سَلَبٌ، والفعل سَلَبْتُهُ أسْلَبْتُهُ سَلْباً إذا أخذت سَلَبَهُ، وسَلِبَ الرجل ثيابه ⁸، وجاء في المعجم الوسيط " سَلَبَ الشيءَ سَلْباً: انتزعه قهراً ⁹، أما القاموس المحيط فأورد " سَلَبَهُ سَلْباً وسَلْباً : اختلسه، كاستلبه ¹⁰، ومما سبق ذكره نستنتج أن الاستلاب في مفهومه اللغوي يحيل إلى الانتزاع القهري والاختلاس.

أما إذا عرجنا للفظ الهوية فإننا نجدها تشير إلى السقوط من الأعلى نحو الأسفل "هوى السهم هوبا: سقط من علو إلى سفلى" ¹¹، ويقال "الشيء: سقط، كأهوى و أنهوى والهوى، بالضم: للانحدار" ¹²، وتأخذ كلمة الهوية معنى مطابقة و مماثلة الشيء لنفسه أي هو هو "تستعمل كلمة الهوية من حيث الدلالة اللغوية في الأدبيات المعاصرة، لأداء معنى الكلمة الفرنسية "identite" التي تعبر عن خاصية المطابقة أي: مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقته لمثله" ¹³، ومن الناحية الاصطلاحية فالهوية "كالصفة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره، وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات" ¹⁴، فهي بهذا المعنى لصيقة بالفرد تتجلى دائما إذا ما حاول الآخر طمسها، وقد حاول حسن حنفي تحديدها في كتاب عنوانه بالهوية وأورد آراء الفلاسفة والمفكرين، وأشار إلى صعوبة تحديد المصطلح حتى أنه جعل فصلا كاملا لمحاولة الإجابة عن سؤال مفاده هل يمكن تحديد الهوية وخلص إلى "الهوية موضوع فلسفي بالأصالة. عالجه الفلاسفة المثاليون والوجوديون على حد سواء، المثاليون ميتافيزيقيا، وحولوه إلى قانون، قانون الهوية، والوجوديون نفسيا منعا لانقسام الذات على نفسها ومن ثم إنكار الوجود الإنساني وهو عند الواقعيين، خصوصا الوضعيين، تحصيل حاصل. لا يعني شيئا" ¹⁵، والهوية تستند على جملة من المقومات والعناصر ومن أهمها الدين واللغة والأفكار والعادات وكل ما من شأنه تكوين خصوصية لمجتمع ما، والمركب المزجي الاستلاب الهوياتي يعني اختلاص ما يختص به جماعة معينة عن غيرها ويمتد هذا الاختلاص إلى جل المقومات والعناصر المشكلة للتمييز، وقد عالج فالح عبد الجبار مفهوم الاستلاب عند بعض الفلاسفة والمفكرين ليخلص إلى "تبلور المفهوم بروح احتجاج ونقد للإنسان في إطار الدين - اللاهوت دفاعاً عن الإيمان، ثم خرج من جبهتهما، لا لشيء إلا ليعود هذه المرة بروح احتجاج ونقد للدين واللاهوت دفاعاً عن الجوهر الإنساني المستلب" ¹⁶ ومفهوم الاستلاب هنا بعيد عن الهوية حيث ينظر هذا المفهوم إلى الاستلاب بنظرة إنسانية موهلة في تقديس الإنسان بحيث تلغي الدين جملة وتنعتيه بالمستلب للجوهر الإنساني، والذي يهم من هذا الطرح هو توضيح معنى الاستلاب بصفته طرف ينتزع صفة ما من الإنسان قهرا ويجعله يذوب في مقومات وأفكار الطرف المستلب.

4. النسق الثقافي المضمير في النقد الثقافي:

إن لفظ النسق يتحدد لغويا بكونه "ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا" ¹⁷، وهذا المعنى اللغوي نجده يتكرر في جل المعاجم العربية، حيث يتفق جلها على دلالة الانتظام على طريقة واحدة، بحيث يبرز التحام مجموعة من العناصر واتحادها وارتباطها بعضها ببعض لتكون كلا موحدًا.

أما النسق الثقافي فهو "مواضعة (اجتماعية، دينية، أخلاقية، استيعابية ..) تفرضها في لحظة معينة من تطورها، الوضعية الاجتماعية و التي يقبلها ضمينا المؤلف وجمهوره، وهكذا يكون أفق النصوص المفردة والانجازات الفردية هو "النص الثقافي" الذي يجعلها ممكنة وفي الوقت نفسه يحد من مدى تساؤلاتها وينتج عن ذلك أنه لا يمكن اعتبار أي نص مغلقا أو متوحدا أو مصوغا من كتلة واحدة إنه منفتح على نصوص أخرى ومعرفيات أخرى يدمجها في بنيته وتمنحه مظهرا مختلطا ومتجزئا، وليس للنسق الثقافي بطبيعة الحال وجود مستقل وثابت" ¹⁸، وهذا ما يستدعي وجود قارئ فعلي متسلح بأفكار وثقافة مسبقة مما تجعله يكتشف هذا النسق الذي لا يمكن القبض عليه إلا بالاطلاع الواسع، وقد قرن النسق بالثقافة لأن الأنساق الثقافية تشير "إلى ظاهرة التنوع في تجليات الظواهر الثقافية، وتوظيفها وتوزيعها بأبعادها المتباينة داخل المنجز الإبداعي إما بشكل معلن ظاهر أو بشكل مضمير خفي، ومما لا شك فيه أن هذا المصطلح له ارتباط واسع بالاختلافات الثقافية بين الجماعات الإنسانية من الناحية اللغوية، والعرقية، والعقدية، وما ينشأ عن هذا الاختلاف من صدمات تجلت، وما زالت

تتمظهر في النواحي الاجتماعية، والفكرية والإثنية والسياسية والاقتصادية، وغيرها من مظاهر التمايز بين كل فئات البشر " ¹⁹، ولما كانت الثقافة مدار اهتمام الناقد الثقافي الذي من وظائفه الرئيسة " الانتقال بالممارسة النقدية من نقد النصوص والعناية بجمالياتها الأسلوبية والبنائية إلى نقد الأنساق المطمورة فيها، أي نقد محمولاتها الثقافية، وكشف مصادراتها المتخفية فيها، وهذا النقد ينصرف إلى متابعة عملية الاستهلاك الثقافي، أي كيفية تلقي الثقافة، ومتابعة حيلها وموارباتها" ²⁰، ومنه فالواجب على الناقد الثقافي الاشتغال على النسق الثقافي المضمّر انطلاقاً من النص وبتوظيف مهاراته الثقافية بذكاء، كون المنهج وحده لا يكفي لاستلال النسق المضمّر من جوف المتن السردى، وبالتغلغل في عمق أغوار النص هذا الأخير الذي أنتجه كاتب متشبع بأفكار وإيديولوجيات قبلية يمكنها أن تظهر بين ثنايا أسطره على شكل انساق مضمرة تعطي دلالة تختلف عن الدلالة التي تمنحها الأنساق الظاهرة، والدلالة الجديدة التي يعطيها النسق المضمّر تكون في العادة دلالة سلبية تظهر حين يتكلم النسق المضمّر الذي يملك قدرة على الاختفاء أمام القارئ العادي لكنه يضعف أمام القارئ الفعلي الثقافي.

وقد فصل الغدامي في مسألة النسق الثقافي ووضحه من خلال التركيز على الوظيفة النسقية التي جعل منها العنصر المحدد للنسق من حيث القيمة الدلالية؛ إذ يحدد الغدامي عدداً من المواصفات التي تتصف بها الوظيفة النسقية وهي:

" أ_ نسقان يحدثان معا وفي آن، وفي نص واحد أو في ما هو بحكم النص الواحد .

ب_ يكون المضمّر منهما نقيضاً ومضاداً للعلن، فإن لم يكن هناك نسق مضمّر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي كما نحدده هنا.

ج_ لا بد أن يكون النص جميلاً ويستهلك بوصفه جميلاً، بوصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وإدامتها.

د_ ولا بد أن يكون النص جماهيرياً ويحظى بمقروئية عريضة وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الزمان الاجتماعي والثقافي" ²¹، وهذا يعني أن النصوص التي تستدعي القراءة الثقافية التي تعتمد على كشف المضمّر يجب أن تكون مشهورة وذائعة الصيت وتتحلى بالجمالية، لكن النقد الثقافي يحاول كشف ما هو خفي عن طريق ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن كونه لا يتعامل مع البلاغة والجمالية بل تعامله الوحيد يكون مع الثقافة.

5. الرواية الجزائرية المعاصرة (شخصيات الديوان الأسبرطي):

لا يختلف اثنان في المكانة التي تحتلها الرواية الجزائرية المعاصرة وهيمنتها على الساحة الأدبية، وتعد الجوائز الأدبية التي تحصدتها الروايات الجزائرية خير دليل على تفوقها وأخذها مركز الصدارة، والمتأمل في الكتابات الروائية المعاصرة خاصة التاريخية منها يلاحظ هيمنة البعد الإيديولوجي والديني والثقافي على الكتابات الروائية وهذا شأن أدبيات ما بعد الكولونيالية .

إن رواية -الديوان الأسبرطي- لعيساوي عبد الوهاب رواية تاريخية بامتياز، نظراً لتشعبها بالأحداث التاريخية بداية من بواخر انتهاء التواجد العثماني ووصولاً إلى بدايات الغزو الفرنسي أي حوالي من سنة 1815 إلى 1830، حيث يصف الروائي وقائع تاريخية معتمداً على تخيل تاريخي يجعله متحرراً من سلطة التاريخ، ويتكى على مجموعة من الشخصيات تعيش حياتها خلال تلك الفترات التاريخية، و يمكننا سرد هذه الشخصيات على النحو التالي بحسب تسلسلها في المتن الروائي:

1.5 ديبون:

وهو الشخصية الرئيسية في الرواية، وهو مراسل صحفي فرنسي لصحيفة لوسيمافور دو مارساي ، ومخطط للحملة الفرنسية على الجزائر " أصدقاءك من الضباط يا دييون، ألم تكن مراسلا للحملة التي أرادت أن تحيل إسبرطة إلى أثينا " ²² ، وقد عرض الروائي هذه الشخصية الفرنسية بوصفها شخصية مسالمة وميالة إلى الجانب الإنساني ، بحيث تستنكر الأعمال الإجرامية التي يرتكها المستعمر في حق الشعب الجزائري، لكن المتأمل في هذه الشخصية يجدها متشعبة بالفكر المسيحي التبشيري .

2.5 كافييار:

وهو عسكري سابق في الجيش الفرنسي ومهندس الحملة الفرنسية على الجزائر، وكان جندي سابق في جيش نابليون حيث شارك في معركة واترلو 1815 التي كانت آخر معارك نابليون بعدما انهزم فيها، وكان كافييار أسيرا سابقا لدى الأتراك " و أنا الذي ذقت من الهزائم ما يكفيني، واترلو قصمت ظهري، ثم أسرني الأتراك متقززين منين صيروني عبدا وقد كنت قائدا " ²³ حيث عانى من ويلات الأسر مما جعله يكن الحقد والغل للأتراك والجزائريين، ويمجد الفرنسيين وينبذ الدين المسيحي وكل ما هو إنساني.

3.5 ابن ميار:

وهو كاتب في الديوان العثماني حيث يحزر الشكاوي والمشاكل التي تعترض سكان المحروسة ليرفعها إلى الجهات المعنية بالفصل في القضايا، مما أكسبه حب للأهالي خاصة أنه كان قبل الاحتلال الفرنسي على علاقة وطيدة بالبلاط العثماني، ثم أصبح من المعارضين للتواجد الفرنسي بحكم أنهم سلبوه كل أملاكه " قد أصبحت وحيدا يا ابن ميار لا مال ولا سلطان، تكاد تكون فقيرا بعدما سلبوا منك كل شيء، التجارة والضباع وحتى الأصدقاء " ²⁴ ، وكان يستमित للدفاع عن الدين والمساجد.

4.5 حمة السلاوي:

وهو جزائري من سكان المحروسة رافض للاحتلال ومتشبع بروح المقاومة، وهمه الوحيد هو أن تكون الجزائر للجزائريين لا للترك ولا للفرنسيين، مما يجعله بمثابة الشخصية المهمشة التي تظل هاربة مستترة في زوايا المحروسة، لكن يبقى حضوره في الأحداث المفصلية في الرواية حضورا محوريا.

5.5 دوجة:

وهي الشخصية المحورية الجزائرية الثانية بعد حمة السلاوي، حيث تمثل المرأة الجزائرية المقهورة والمغلوب على أمرها خاصة أنها عاصرت التواجد العثماني والاحتلال الفرنسي وعاشت حالة الفقر واليتم بعد وفاة والدها ، مما جعلها فريسة وسط مجتمع لا يرحم .

وإضافة إلى هذه الشخصيات تخللت الرواية شخصيات ثانوية لعب كل منها دوره في أحداث الرواية ومنها المترجم ميمون، ولالة سعدية زوجة ابن ميار، والقنصل الفرنسي دوفال وبعض الشخصيات الثانوية الأخرى.

6. الأخيرة ونسق الاستلاب الهوياتي في الديوان الاسبرطي:

إن رواية الديوان الاسبرطي لعبد الوهاب عيساوي قد حملت العديد من الأنساق الثقافية الظاهرة التي تستدعي التفكيك بغية الوصول إلى المضمهر منها، خاصة لما كانت الرواية تاريخية فمن المعلوم أن التاريخ حامل للثقافة ، ولتعدد جنسيات وأعراق

شخص الرواية وباعتبار طبيعة الصراع القائم بين العثمانيين والفرنسيين ووقوف الجزائريين موقف هامش أمام مركزين يمثلان الآخرة ، كان نسق الاستلاب طرحا لا بد من مناقشته ومحاولة استلاله من ثنايا الرواية ومن الحوار القائم بين شخصيها، ولتتبع هذا النسق المضمهر سنحاول تطبيق الإجراء النقدي الثقافي على بعض المقتطفات من الرواية.

في الفصل الأول من الرواية نلمح نقطة مفصلية في السرد، وهي قضية الاتجار بعظام الجزائريين حيث يتم نقل العظام الآدمية عبر باخرة بون جوزيفين من الجزائر إلى مرسيليا لطحنها واستعمالها كمادة تزيد في بياض السكر " رفع الطبيب الغطاء مهدوء وأزال كومة القش أعلاها، تأملها ملياً ثم أغلق الصندوق والتفت إليّ، فدنوت أكثر ثم انحنيت على الصندوق وأعدت فتحه، كانت عينا الطبيب تحدقان في كومة العظام أمامه ثم مد يده تستكشف أولها، وما كان في حاجة أن يقلبها كثيراً، بدت من أول وهلة أنها فك إنسان... هذه ساق طفل لم يتجاوز العاشرة، والأخرى تبدوا لشاب، وهذه...أتراها يا سيد ديبون..."²⁵ ، حقيقة إنه لأمر مقزز وموقف رهيب يعطي دلالة نسقية ظاهرة قريبة للانكسار ومبينة لبشاعة الفرنسيين ، وقد أدى هذا العمل الشنيع إلى استنكار كبير من ديبون الذي يمثل الجانب الفرنسي في الرواية مما يؤكد نزاهة وإنسانية الشخصية الفرنسية وينعتها بالمتسامحة والمحبة للسلام والخير" لم يكن بمقدوري الاحتمال. سحبت نفسي وتسلفت السلم في عجلة، باحثاً عن هواء نقي، العفونة تتسع، والعالم يزداد ضيقاً من حولي، كل شيء من حولي حال إلى جماجم صغيرة تنادي باسسي"²⁶ وإذا ما حاولنا تطبيق إجراءات النقد الثقافي على هذه الجملة التي نحسها جملة ثقافية باعتبارها نادرة في الرواية وكل من أراد مناقشة الرواية يذكر هذه القضية، فالغذامي في مشروعه النقدي الثقافي يرى أن " (الجملة الثقافية) هي المقابل النوعي للجملة النحوية والأدبية، بحيث نميز تمييزاً جوهرياً بين هذه الأنواع، من حيث إن الجملة الثقافية مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي يفرض صيغه التعبيرية المختلفة ويتطلب منا بالتالي نموذجاً منهجياً يتوافق مع شروط هذا التشكل ويكون قادراً على التعرف عليها ونقدها"²⁷ ، فالغذامي يميز بين الجملة النحوية التي ترتبط بالنسق الظاهر في تكوين الدلالة والتي نلمحها في دلالة الانكسار والاشمئزاز الذي طغى على شخصية ديبون المراسل الصحفي الفرنسي المخطط للحملة الفرنسية، و " الجملة الأدبية ذات القيم البلاغية والجمالية المعروفة"²⁸، وتكمن الجملة الأدبية في الجمالية التي شددت القراء لحظة اصطدامهم بقضية الاتجار بعظام الجزائريين، لكن القارئ الثقافي يلمح اختلاف وازدواجية تعبيرية فالقضية تقتضي أن يكون طرح الانكسار والاشمئزاز من الطرف الجزائري وليس من طرف فرنسي مخطط للحملة، وهذا ما يستدعي احتمالية وجود نسق استلابي جعل الروائي يطرح القضية دون وعي منه، فربطه للجانب الإنساني بالشخصية الفرنسية ليس له أي تفسير منطقي غير الاستلاب الهوياتي وحب الاندماج في الطرف الآخر، وقد تأتت هذه الدلالة الجديدة بتفكيك المعنى الظاهر وربطه بالنسق من خلال " الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمهر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة "²⁹، فالمؤلف ضمن هذه الدلالة الجديدة التي تولدت عن النقد الثقافي " مؤلف مضمهر ذو طبيعة نسقية تلقي بشباكها غير المنظورة حول الكاتب فيقع في أسر مفاهيمها الكبرى التي تتسرب إليه كالمخدر البطيء فتترتب محمولات خطابه بما يوافق المضامين الإيديولوجية الخاصة بها، إننا بإزاء مؤلف مزدوج التكوين، تكوين شخصي وآخر ثقافي والثاني لا يدخر وسعاً في تشكيل وإعادة تشكيل الأول"³⁰، وإذا ما جئنا إلى عناصر الرسالة الوظيفية بحسب تقسيم الغدامي فإننا نجد أن وظائف اللغة الستة التي تتمثل في:

"- ذاتية/وجدانية(حينما يركز الخطاب على المرسل).

- إخبارية /نفعية(حينما يركز الخطاب على المرسل إليه).

- مرجعية (حينما يكون التركيز على السياق).

- معجمية (حينما يكون التركيز على الشفرة).

- تنبيهية (حينما يكون التركيز على أداة الاتصال).

- شاعرية /جمالية (حينما تركز الرسالة على نفسها، وهذه هي إضافة ياكبسون التي أجاب بها على سؤال الأدبية وكيف تتحول اللغة إلى صفتها الأدبية)³¹، فالذاتية الوجدانية تجلت في الروائي بصفته مرسلًا وهي مرتبطة بالنسق الظاهر الذي أوجد دلالة الانكسار والاشمئزاز من بشاعة المستعمر، والإخبارية تتعلق بالمتلقي الذي يلمح نفس الدلالة، والمرجعية تعطي نفس الدلالة باعتبار السياق التاريخي والمكاني لشخص المشهد الروائي، والمعجمية تتولد عن الشفرة التي هي اللغة الحاملة للدلالة نفسها، والتنبيهية حالها نفس حال سابقاتها في الدلالة، لتأتي وظيفة أخرى سابعة أضافها الغدامي وهي " الوظيفة النسقية: حينما يكون التركيز على العنصر النسقي، كما هو مقترحنا لاجتراح وسيلة منهجية لجعل النسق والنسقية منطلقا نقديا، وأساسا منهجيا وهذا هو المنطلق الأول في مشروعنا النظري"³²، إن الدلالة التي تولدت عن الوظيفة النسقية تتعزز أكثر بإقحام التأويل والتفكيك باعتبارهما رافدين مهمين للنقد الثقافي إضافة لرافد ثالث وهو التحليل السيميائي، فالعظام تعطي دلالة الأصل والمنبت، وهي إشارة إلى الطرف الجزائري، والسكر بمذاقه يحيلنا إلى الطرف الآخر وهو الفرنسي الذي تأثر بدموية و فجاعة المشهد مدفوعا بغرائز إنسانية مثلها اللون الأبيض الذي يشير إلى السلام وحب الآخر، بينما الجانب المضرر للدلالة الذي يخلقه التأويل هو الاستلاب الهوياتي المتمثل في نقل الشخصية الجزائرية لتدوب وتندمج ضمن الشخصية الفرنسية المحبة للإنسانية زعمًا.

إن أمثلة الاستلاب الهوياتي تتوزع في الرواية ولا يسعنا المقال لحصرها جميعا، لذا سنورد الأهم منها، فمثلا في صفحة الغلاف نجد صورة توضح الداوي حسين داي الجزائر، بلباس تركي يتكون من عمامة بيضاء وبرنس أسود تحته قميص أبيض ويحمل في يده اليمنى مروحة على شكل ريش طاووس ويشير بيده اليسرى إلى ستارة المخرج بينما ينظر إلى القنصل الفرنسي بيار دوفال الذي ظهر بلباس أسود يحمل في يده اليمنى قبعته ويده اليسرى مضمومة نحو صدره، حيث يتوسطان الصورة، ومكان الحادثة هو قصر الداوي، حيث يظهر جدار القصر من الداخل تعلوه مجموعة من النوافذ، ومدخل على الجهة اليمنى به ستارة مفتوحة يمسكها جندي بزي عثماني، وعلى يمين الصورة أربع أشخاص من الوفد الفرنسي ثلاثة منهم يرتدون نفس زي القنصل وواحد يرتدي زي مخالف عنهم حيث يظهر لباسه باللون الأبيض بينما باقي الوفد بما فيهم القنصل فلباسهم أسود، وعلى يسار الصورة يظهر مجموعة من حاشية الداوي عددهم متداخل استطعت إحصاء سبعة منهم، ولباسهم موحد تقريبا يغلب عليه اللون الأبيض، والصورة كاملة عبارة عن لوحة فنية بالأبيض والأسود، والمتضمن في الصورة إذا ما وظف ثقافته التاريخية المسبقة سيلاحظ غياب العنصر أو الطرف الأصل الذي يتمثل في الجانب الجزائري المتميز عن الأطراف الأخرى فلولا النقد الثقافي لما استطاع المتلقي كشف هذا الغياب الذي يعد بمثابة استلاب للهوية الجزائرية ودمجها ضمن الهوية العثمانية ضد الهوية الفرنسية. وكأن الروائي أحس لاشعوريا بعدم الحاجة لتوظيف الشخصية الأصل وأضررها دون وعي لكونها شخصية وحيدة منطوية على نفسها لا تصلح لتكون ضمن واجهة العمل السردية فالأخرية لا تقدر هذه الذاتية ولا تعترف بها لتحل محلها شخصيات أكثر وضوحا وقوة تاريخيا وشعور الوحدة هذا ليس جديدا لأن " الإنسان يتعرض لعملية الاستلاب في سياق بعض الحالات التي لا يجد فيها الفرد داخل وسطه ومحيطه ما يعزز شعوره بوحده الذاتية أو ما يؤكد هذه الذاتية"³³، إن الدوبان

في الهوية العثمانية يمكننا تجاوزها لعدة اعتبارات حيث يلعب فيها الجانب الديني الجزء الأهم فالاستلاب هنا يكون طوعي أكثر من كونه قسري، لكن الاندماج في الهوية الفرنسية لا يمكن السكوت عنه " فالاستعمار في صيغته الخالصة يفرض على المجتمع الذي يخضع لسيطرته نماذجه الثقافية الخاصة بالهوية، وهو يمارس أشكالاً مختلفة من الضغط والإكراه (الفيزيائي، الاقتصادي، النفسي)، وذلك من أجل دفع المجتمع المستعمر إلى التكيف مع هوية أخرى مختلفة، ويضاف إلى ذلك أنه يدفع كل فرد إلى تبني هوية فردية أخرى. كما يعمل على تغيير البنية الاجتماعية للجماعة وإلى إحداث تغيير عميق في نظامها المرجعي الثقافي (أي القيام بأنماط سلوكية مجانية لسلوك الجماعات الغازية). " ³⁴ ، وهذا ما نسعى لتبيينه في بحثنا هذا حيث فرضت الثقافة الفرنسية نفسها وطغت بسلطانها على الكتابات الروائية الجزائرية في مرحلة ما بعد الكولونيالية خاصة .

إن المتأمل في شخوص الرواية يجد نفسه ضمن حوارية غارقة في الصراع الهوياتي، فكافيار مثلاً بوصفه شخصية فرنسية كارهة للآخر (العثماني والجزائري) تحاول إرجاع دييون إلى رشده وتبني الفكر الفرنسي والابتعاد عن حب الآخر فهو يحدث دييون قائلاً: " لعل الكتب أفسدتك . الكتب أحياناً تزرع في الناس أفكاراً لا وجود لها عن الحياة، تخلق منهم كائنات لا تحسن إلا الكلام، وأخشى أن تكون من بينهم، تقرأ عن الشرق وعن المور ثم تأتي لتلقي المحاضرات، أو تتصفح الإنجيل ثم تهذي أمامي بما فهمته، هذه المدينة التي يسمونها الجزائر، لم تكن إلا إسبرطة " ³⁵ ، وهذه الجملة تحمل مضمر ثقافي سلمي عن الأمة الإسلامية في كليتها وهذا النسق المضمر هو صفة الكلام دون عمل حتى وصفها أحد مفكرها الذين دخلوا في عالم الإلحاد بالظاهرة الصوتية، فالاستلاب الهوياتي يتضح ثقافياً من خلال حضور النصوص الموازية في فكر المتلقي وإحالتها لا شعورياً لفكر الروائي خاصة بعدما يلاحظ تمجيده لكافيار وإضفاء صفة الواقعية لشخصه.

ولما نأتي لدوجة هذه المرأة الجزائرية التي تمثل الجزائر ، باسمها الأمازيغي الإسلامي الظاهر واسمها العربي الإسلامي المضمر (خديجة) ، نلمح الاستلاب في أوضح تجلياته حين نقرأ عن هذه الشخصية في المتن السردي " الأول يريد لها مثلما هي، تعلن حركتها عن محبتها لك، والثاني لن ينسى أيامها الأولى في المبنى قبل أن تخرجها منه " ويقرا أيضا " ثم دخلت دوجة إلى المحروسة، وما إن رآها المزوار حتى سحبها إلى فراشه، ثم إلى فراش الخاصة من بني عثمان، وأضحت دوجة مشاعاً للرجال كلهم. والآن اقطع شوارع المحروسة جيئة وذهاباً... من منهم يا ترى رأى عريك يا دوجة؟ من منهم اكتشفت يده تفاصيل جسدك؟ من منهم قبل شفتيك، أو ضغط على نهديك المكورين؟ من منهم بات ليلة طويلة يضاجعك " ³⁶ ، لقد تحدثت الرواية كثيراً عن الجزائر المحروسة بوصفها مبعي كبير مليء بالخيانة والزنا والجهل مما سهل على الفرنسيين دخولها بينما نجد الشخصية الفرنسية لا تكاد تنتقص في الرواية ودائماً ما توصف بالنزعة الواقعية والإنسانية ، وهذا مما يعزز الطرح القائم حول الاستلاب الهوياتي في رواية الديوان الاسبرطي.

7. خاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى مقارنة رواية الديوان الاسبرطي من خلال التركيز على الأخيرة ودورها في ترسيخ الاستلاب الهوياتي من خلال تتبع شخصيات الرواية وردود أفعالها أثناء التلاقح والتثاقف لتخلص إلى :

- أن النقد الثقافي من شأنه أن يكشف مضمرات سلبية في المتن السردية.
- أن الروائي في توظيفه للتاريخ من شأنه أن يُضَمِّن ثقافته المضمرة وتحيزه دون شعور منه في روايته.
- أن عبد الوهاب عيساوي قد تطرق إلى جانب كان مسكوت عنه كان يبدو سداً محرمًا.

- أن الاستلاب إنما يعززه الشعور بالوحدة والدونية أمام الآخر والانهار بثقافته.

8. الهوامش:

- ¹ - أبو الفضل بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 04، 2000، ص12.
- ² - مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005، ص342.
- ³ - إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص08.
- ⁴ - المبروك الشيباني، صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، 2014، ص13.
- ⁵ - المبروك الشيباني، صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، 2014، ص11.
- ⁶ - سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014، ص10.
- ⁷ - المبروك الشيباني، صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، 2014، ص13.
- ⁸ - أبو الفضل بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 01، 2000، ص471.
- ⁹ - إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص440.
- ¹⁰ - مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005، ص97.
- ¹¹ - أبو الفضل بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 15، 2000، ص371.
- ¹² - مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005، ص1346.
- ¹³ - رضا شريف، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة في فكر الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، دط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 2011، ص14.
- ¹⁴ - محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999، ص6.
- ¹⁵ - حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2012، صفحة الغلاف الأخيرة.
- ¹⁶ - فالح عبد الجبار، الاستلاب، هوبز، لوك، روسو، هيغل، فويرباخ، ماركس، دار الفارابي، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2018، صفحة الغلاف الأخيرة.
- ¹⁷ - أبو الفضل بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 10، 2000، ص352.
- ¹⁸ - عبد الفتاح كيليطو، مقامات السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط2، دار توبقال للنشر، 2001، ص8.
- ¹⁹ - رضا عامر، المناهج النقدية المعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2019، ص112.
- ²⁰ - حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغدامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص47.
- ²¹ - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص78.
- ²² - عبد الوهاب عيساوي، الديوان الاسبرطي، دارميد للنشر، ط6، دارميد للنشر، الجزائر، 2020، ص15.
- ²³ - عبد الوهاب عيساوي، الديوان الاسبرطي، دارميد للنشر، ط6، دارميد للنشر، الجزائر، 2020، ص31.
- ²⁴ - عبد الوهاب عيساوي، الديوان الاسبرطي، دارميد للنشر، ط6، دارميد للنشر، الجزائر، 2020، ص49.
- ²⁵ - عبد الوهاب عيساوي، الديوان الاسبرطي، دارميد للنشر، ط6، دارميد للنشر، الجزائر، 2020، ص21.
- ²⁶ - عبد الوهاب عيساوي، الديوان الاسبرطي، دارميد للنشر، ط6، دارميد للنشر، الجزائر، 2020، ص21.
- ²⁷ - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص73.

- ²⁸ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص73.
- ²⁹ - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص74.
- ³⁰ - حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغدامي والممارسة النقدية و الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص: 75.
- ³¹ - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص67.
- ³² - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص66، 67.
- ³³ - اليكس ميكشيلي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار النشر الفرنسية، ط1، دار النشر الفرنسية، دمشق، سوريا، 1993، ص148.
- ³⁴ - اليكس ميكشيلي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار النشر الفرنسية، ط1، دار النشر الفرنسية، دمشق، سوريا، 1993، ص154.
- ³⁵ - عبد الوهاب عيساوي، الديوان الاسبرطي، دارميم للنشر، ط6، دارميم للنشر، الجزائر، 2020، 125، 126.
- ³⁶ - عبد الوهاب عيساوي، الديوان الاسبرطي، دارميم للنشر، ط6، دارميم للنشر، الجزائر، 2020، ص68.
- المصدر:
- عبد الوهاب عيساوي، الديوان الاسبرطي، دارميم للنشر، ط6، 2020.
- المراجع:
- 01 إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.
- 02 أبو الفضل بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دارصادر، بيروت، لبنان، مجلد 04، ط1، 2000.
- 03 حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012.
- 04 حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغدامي والممارسة النقدية و الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.
- 05 رضا شريف، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة في فكر الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، دط، 2011.
- 06 رضا عامر، المناهج النقدية المعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2019.
- 07 سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014.
- 08 عبد الفتاح كيليطو، مقامات السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط2، 2001.
- 09 عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005.
- 10 فالح عبد الجبار، الاستلاب، هوبز، لوك، روسو، هيغل، فويرباخ، ماركس، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2018.
- 11 المبروك الشيباني، صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
- 12 مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.
- 13 محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1999.
- 14 اليكس ميكشيلي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار النشر الفرنسية، دمشق، سوريا، ط1، 1993.